﴿ . .لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ . . ﴾

مسجد قُباء
أول مسجد بُني في الإسلام

عن الإمام الباقر عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: من أتى مسجدي مسجد قبا فصلّى فيه ركعتين رجع بعمرَة».
وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إبدأ بقبا فصلّ فيه وأَكْثِر، فإنّه أوّل مسجد صلّى فيه رسول الله ﷺ في هذه الناحية . .».

مسجد قُباء، أوّلِ مسجد بناه رسول الله صلّى الله عليه وآله عند تخوم المدينة عندما وصل مهاجراً إلى منطقة «قباء» التي أُطلق على المسجد اسمُها. وفيه أقام ﷺ أوّل صلاة جماعة ظاهرة، وهو المسجد الذي أُسّس على التقوى بنصّ القرآن الكريم في سورة التوبة.
وفي هذه المنطقة أيضاً انتظر رسول الله قرابة عشرين يوماً، حتى ورد عليه أميرالمؤمنين عليه السلام مع الفواطم مهاجراً من مكّة، بعد مبيته على فراش رسول الله حين همّت قريش والقبائل بقتله صلّى الله عليه وآله.

مسجد قُباء

طريق الهجرة والوصول إلى قُباء

أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله طريق سيره في هجرته من أسفل مكّة، فإلى طريق السواحل، ثم إلى وادي أَمَج ، فإلى الحرار بالقرب من الجُحْفة (الميقات)، فإلى وادي رابغ، حتى وصل إلى قُباء، فأقام في بني عمرو بن عوف، ونزل على شيخٍ هَرِمٍ فيهم هو كلثوم بن الهدم.

الإسم

قُبا: بضمّ القاف، وقد يُقال قُباء، والقُبا جمع قبوة، وهو الضمّ والجمع في لغة أهل المدينة: يُقال: قبوت الحرف، أي ضممتُه.

وقُبا اسم بئر على تخوم المدينة، اجتمع الناس إليها وبنوا بقربها قريةً عُرفت باسمها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار.

بناء المسجد

أجمع المؤرّخون وكُتّاب السيرة النبويّة على أنّ رسول الله ﷺ مكث في قُبا حتى جاء أميرالمؤمنين عليه السلام ومعه الفواطم (فاطمة الزهراء عليها السلام، فاطمة بنت أسد أمّ أميرالمؤمنين، فاطمة بنت الزبير بن عبدالمطّلب وفاطمة بنت حمزة عمّ الرّسول).

وذكر الدّيار بكري والسمهودي أنّه أمر عليّاً عليه السلام فخطّ لمسجد قُبا. ورُوي أنّ رسول الله هو أوّل من حمل الحجارة إليه، ووضع حجراً في مكان المحراب، وأسّس أساسه، ثمّ أتمّ الصحابيّ عمار بن ياسر بُنيانه.

وكان رسول الله حين بنى مسجد قُباء يأتي بالحجر قد صهره إلى بطنه فيضعه، فيأتي الرجل يريد أن يقلّه فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعَه ويأخذ غيره.

ورُوي عن بعض الأنصار أنّه قال «كنّا نحمل حجارة المسجد الذي أُسّس على التقوى حجرين حجرين بالنهار، وكانت امرأتي ومواليها يحملن الحجارة له بالليل».

الموقع والمساحة

يقع مسجد قُباء في الجنوب الغربي للمدينة المنورة، ويبعد عن المسجد النبويّ الشريف نحو ثلاثة كيلومترات. له محراب ومنارة ومنبر رخاميّ، وفيه مصلّى رسول الله ﷺ، وبئر تُنسب إلى الصحابي أبي أيوب الأنصاريّ، وتبلغ مساحة المصلّى، حالياً، أكثر من خمسة آلاف متر مربّع، وتبلغ المساحة التي يشغلها مبنى المسجد مع مرافق الخدمة التابعة له أكثر من ثلاثة عشر ألف متر مربّع، كما أُلحقت به مكتبة وسوق لخدمة الزائرين، وتحيط به مزارع النخيل.

مجيء أميرالمؤمنين عليه السلام مع الفواطم

روى الشيخ الكليني في «روضة الكافي» عن الإمام السجاد عليه السلام (في حديث طويل نقتطع منه) أنّه قال وهو في مسجد رسول الله ﷺ: قدِم رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينة لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس، فنزل بقُبا فصلّى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، وكان نازلاً على (بني) عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له: أتُقيم عندنا فنتّخذ لك منزلاً؟ فيقول: لا، إني أنتظرعلي بن أبي طالب، وقد أمرته أن يلحقني، ولست مستوطناً منزلاً حتى يُقدم عليّ، وما أسرعه إن شاء الله.

فقيل له: إنهض بنا إلى المدينة، فإنّ القوم قد فرحوا بقدومك، وهم يستريثون إقبالك إليهم، فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر عليّاً، فمّا أظنّه يقدم إليك إلى شهر، فقال رسول الله ﷺ: ولست أريم (أي لا أبرح) حتى يقدم ابن عمي وأخي في

مدخل "قُبــاء" قبل تجديد عمارته

الله عزّ وجلّ، وأحبّ أهل بيتي إليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين "..".

وروى الكليني رضوان الله عليه في «فروع الكافي» عن الإمام السجاد عليه السلام أنّه قال: «**قدم عليٌّ عليه السلام والنبيّ ﷺ في بيت (بني) عمرو بن عوف فنزل معه، ثمّ تحوّل منهم إلى بني سالم بن عوف وعلي عليه السلام معه، مع طلوع الشمس من يوم الجمعة، فخطّ لهم مسجداً، ونصب قبلته (إلى بيت المقدس)، وصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين**».

يضيف الشيخ الكليني في «روضة الكافي» رواياً عن الإمام السجّاد عليه السلام: «**ثم راح (بعد العصر) من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدِم عليها، وعليٌّ عليه**

المسجد من الداخل

السلام معه لا يفارقه، يمشي بمشيته، وليس يمرّ رسول الله ﷺ ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم، فيقول لهم: خلّوا سبيل الناقة فإنها مأمورة، فانطلقت به ورسول الله واضعٌ لها زمامها، حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى ـ وأشار الإمام السجّاد بيده إلى باب مسجد رسول الله الذي يُصلّى عنده على الجنائز ـ فوقفت عنده وبركت ووضعت جرانها على الأرض، فنزل رسول الله..».

سلمان الفارسي

ورُوي أنّ الصحابيّ الجليل سلمان المحمدي رضوان الله عليه كان قد خرج من بلاد فارس يطلب رسول الله ﷺ، فالتقى في طريقه إلى مكّة براهب من رهبان النصارى بالشام، فصَحِبه حتى سأله عن النبيّ الموعود فقال له الراهب: أُطلبه بمكّة فإنّها يخرج فيها، أو اطلبه بيثرب فإنّه يهاجر إليها. فقصد سلمان مكّة، فسباه بعض الأعراب فباعه على رجل من يهود المدينة، فكان سلمان يعمل في نخلِه على تخومها، حتى ورد رسول الله ﷺ قُبا في طريق هجرته إلى المدينة المنوّرة، فلمّا سمع بذلك سلمان، خرج إليه وأسلم بعدما رأى علامات النبوّة التي كان سمعها من الراهب، من أنّ النبيّ ﷺ يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة وعلى كَتفه خاتم النبوّة.

ورُوي أيضاً أنّ الحصين بن سلام اليهوديّ من بني القينقاع، عندما علم بقدوم رسول الله ﷺ إلى قُبا، خرج إليه واعتنق الإسلام، فسمّاه رسول الله عبدالله. ولمّا نبذه قومه اليهود، قال لهم: والله هذا أخو موسى بن عمران، وقد وجدنا علامته في التوراة التي نتلوها.

ومن سائر الأخبار المتعلّقة بقُباء، أنّ أوّل مصالحة بين قبيلتي الأوس والخزرج من الأنصار، كانت بذلك الموضع.

قال الشيخ الطبرسي في «إعلام الورى»: إنّ رسول الله ﷺ نزل على بني عمرو بن عوف من الأوس، فأقبل يتصفّح الوجوه فلا يرى أحداً من الخزرج لِما كان بينهم من الحروب والعداوة. ثمّ ما لبث أن قدم عليه أسعد بن زرارة الخزرجي مقنّعاً، فسلّم عليه وقال: يا رسول الله، ما ظننتُ أن أسمع بك في مكان فأقعد عنك، إلا أنّ بيننا وبين إخواننا من الأوس ما تعلم، فكرهتُ أن آتيهم، فلمّا أن كان هذا الوقت لم أحتمل أن أقعد عنك، فقال رسول الله للأوس: من يُجيره منكم؟

فقالوا: يا رسول الله، جوارنا في جوارك، فَأَجِره.

قال صلّى الله عليه وآله: **لا، بل يجيره بعضكم.**

فقال عويم بن ساعدة وسعد بن خيثمة: نحن نجيره، فأجاروه، فكان أسعد بن زرارة يختلف إلى رسول الله فيتحدّث عنده ويُصلّي خلفه.

مسجد قُباء في الآيات والروايات

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ المسجد الذي أُسِّس**

على التقوى في قوله سبحانه: ﴿ ..لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ.. ﴾ التوبة:108، **هو مسجد قُبا**».

وعنه عليه السلام: «**لا تَدَعْ إتيان المشاهد كلّها: مسجدِ قُبا فإنّه المسجد الذي أُسّس على التقوى من أوّل يوم، ومشربة أم إبراهيم، ومسجد الفضيخ، وقبور الشهداء، ومسجد الأحزاب، وهو مسجد الفتح**».

والمشربة قيل في معناها: الغُرفة. جاء في «مجمع البحرين»: «.. "المشربة" بفتح الميم وفتح الرّاء وضمّها: الغرفة. ومنه "مشربة أم إبراهيم"، وإنّما سُمّيت بذلك لأن إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله، ولدته أمه فيها، وتعلّقت حين ضربها المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة، وقد ذرعت من القبلة إلى الشمال أحد عشر ذراعاً».

وأمّ إبراهيم هي أم المؤمنين مارية القبطيّة، وقيل إنّ هذه المنطقة تُعرف اليوم بـ«شربيّات»، أما مسجد الفضيخ فهو الذي رُدّت فيه الشمس لأميرالمؤمنين بدعاء رسول الله ﷺ.

وفي «تفسير الميزان» للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، أن مسجد قُبا نقيض مسجد ضرار الذي بناه نفرٌ من المنافقين قريباً منه، بعد أن حرّضهم على ذلك أبو عامر الرّاهب قائلاً: إبنوا مسجداً فإني أذهب إلى قيصر وآتي من عنده بجنود، و أُخرج محمّداً من المدينة، فكان هؤلاء المنافقون يتوقّعون أن يجيئهم أبو عامر، فمات قبل أن يبلغ ملك الروم، وأمر رسول الله لاحقاً بهدم ضرار وحرقه.

ركعتان بعمرة

وفي «وسائل الشيعة» للحرّ العاملي عن رسول الله ﷺ: «من أتى مسجدي مسجد قُبا فصلّى فيه ركعتين رجع بعمرة».

وعنه صلّى الله عليه وآله: «**صلاة في مسجد قُباء كعُمرة**».

وروي أيضاً عنه صلّى الله عليه وآله قوله: «**من تطهّر في بيته، ثمّ أتى مسجد قباء فصلّى فيه، كان له كأجر عُمرة**».

وعن الإمام الصادق عليه السلام لمّا سأله أحدهم: إنّا نأتي المساجد التي حول المدينة فبأيّها أبدأ؟ قال عليه السلام: «**إبدأ بقُبا فصلّ فيه وأكْثِر، فإنّه أوّل مسجد صلّى فيه رسول الله صلّى الله عليه و آله في هذه [الناحية]، ثم ائتِ مشربة أم إبراهيم فصلّ فيها، فإنّها مسكن رسول الله صلى الله عليه و آله، ومُصلاّه**».

وفي «المغني» لعبدالله بن قدامة أنّ رسول الله كان يأتي قباء راكباً وماشياً، وكان يزور القبور ويقول: «**زوروها تذكركم الآخرة**».

أعمال مسجد قباء

قال المحدِّث الشيخ عباس القمّي في «مفاتيح الجنان»:

«..ورُوي أنّ مَن ذهب إليه [مسجد قباء] فصلّى فيه ركعتين رجع بثواب العمرة. فامضِ إليه وصلِّ فيه ركعتين للتّحية، وسبّح تسبيح الزهراء عليها السلام. ثمّ زُر بالزيارة الجامعة التي تفتح بـ: (السَّلامُ عَلى أَوْلِياءِ اللهِ..)، "..." ثم ادعُ الله [بدعاء]: (يا كائِنا قَبْلَ كُلِّ شَيْ...)، "..." وتصلّي في مشربة أُم إبراهيم، أي غرفة أُم إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وقد كانت هناك مسكن رسول الله ﷺ ومُصلاّه».

"قباء" من الجو

من معالم المدينة المنوّرة

المدينة المنوّرة هي مأوى ومثوى رسول الله ﷺ، واسمُها طيبة، وكانت تُسمّى قبل الهجرة بيثرب، وأشار الى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ..﴾ الأحزاب:13.

يرجع تأسيس المدينة الى عهود سحيقة، وأقدم ذكر لها يرجع إلى عهد (المعينيّين) الذين ازدهرت حضارتهم في الفترة مابين (1300 و 630 قبل الميلاد)، وتبلغ مساحتها حالياً حوالي 150 كلم^2. ومن معالمها ومساجدها ـ فضلاً عن الحرم النبويّ الشريف ومسجد قُباء ـ نذكر ما يلي:

مسجد القبلتين

يقع هذا المسجد في الجهة الشمالية من الحرة الغربية على يمين الذاهب إلى أُحد، وهو المكان الذي نزل فيه التشريع الإلهي بتغيير القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام. وكان ذلك ـ حسب أغلب الروايات ـ في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة.

مسجد الغمامة (المُصلّى)

يقع الى الغرب من المسجد النبويّ ويبعد عنه حوالي 400 متراً، وكان يُسمّى بالمُصلّى لأنّ أكثر صلاة النبيّ ﷺ للعيدين والاستسقاء فيه.

مسجد السُقيا

يقع غرب المسجد النبويّ بحوالي 2 كلم. بُني المسجد في مكان قُبّة الرّسول ﷺ عند خروجه لغزوة بدر. وكانت إلى جنوب المسجد بئر (السُقيا) التي يُروى أنّ الرسول الأكرم ﷺ كان يستعذبُ ماءها، وليس لها أثر الآن.

مسجد الثنايا

سُمّي بذلك لأنه كُسرت في هذا المكان ثنايا رسول الله ﷺ في معركة أُحد، وكان يقع خلف قبور شهداء أُحد بمائة متر باتجاه الجبل، وقد أُزيل هذا المسجد في السنوات الأخيرة.

مسجد بنات بني النجار

ويغلب عليه عند الناس اسم مسجد (الجمعة). وبنات بني النجار من بنات أخوال النبيّ ﷺ، وقابَلْنَه عند قدومه صلّى الله عليه وآله إلى المدينة بالنشيد المعروف:

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع

مسجد رد الشمس

يقع قبل مسجد قُباء بكلم واحد تقريباً. وهو المسجد المشهور عند أهل تلك المنطقة بأنه رُدَّت فيه الشمس لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام بدعاء رسول الله ﷺ. لكنّ المشهور أنّ مسجد الفضيخ هو مسجد ردّ الشمس.

مسجد المباهلة

وهو مسجد (الإجابة)، يقع في الجهة الشرقية من المسجد النبويّ، وهو على عدّة أمتار إلى جهة الشمال من مقبرة البقيع، وفي هذا الموضع كانت المباهلة بين رسول الله ﷺ ونصارى نجران.

مسجد الشجرة

وهو موضع قريب من المدينة المنوّرة على حافّة وادي العتيق، ويُعرف أيضاً بمسجد (ذي الحليفة)، وهو ميقات أهل المدينة ومن يريد الحج أو العمرة من هذا الطريق. سُمّي بمسجد الشجرة لأن رسول الله ﷺ ـ كما رُوي ـ نزل عند شجرةٍ فيه فصلى في ذلك الموضع. وتُعرف هذه المنطقة أيضاً بـ(أبيار علي) لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام حفر بها عدداً من الآبار.

أُحد

جبل مشهور بالقرب من المدينة المنورة وعلى بعد 4 كلم منها، وقيل سُمّيَ بذلك لتوحُّده وانقطاعه عن جبال أُخر في تلك المنطقة، وكانت بالقرب منه معركة أُحد المشهورة في منتصف شوال من عام 3 هـ، حيث خرج مشركو مكة نحو المدينة المنورة للأخذ بثأر يوم بدر. وعند سفحه دُفن عددٌ كبير من الصحابة والهاشميّين أشهرهم حمزة سيد الشهداء عليه السلام.

وقبره اليوم عبارة عن أرض جرداء مسوَّرة، في وسطها قبران؛ الشرقيّ منهما لعم النبيّ ﷺ الحمزة عليه السلام، والغربي لمصعب بن عمير، ومن خلفهما مجموعة قبور محدّدة تدلّ على قبور جَمْع من الشهداء. (أنظر الصورة)

وإلى الجنوب من قبور شهداء أُحد يقع مرتفع صغير يُعرف بجبل عينين أو جبل الرّماة، وكان على هذا الجبل ومَن حوله مجموعة من المساجد، كلٌّ منها يدلّ على حادثة معيّنة، فمسجدٌ يحدّد موقع مصرع حمزة ويُعرف بمسجد المصرع أو العسكر ويقع على الطرف الشرقي لجبل عينين، وآخر ملاصق لجبل أحد يُحدّد موضع صلاة النبي ﷺ بعد انتهاء القتال ويُعرف بمسجد جبل أحد.